الباب الخمسون

فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الأوقات

فمن ذلك أن يلازم موضعه الذى صلّى فيه الفجر مستقبل القبلة، إلا أن يرى انتقاله إلى رواتبه أسلم لدينه. لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شىء؛ فإن السكوت فى هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بيّنٌ يجده أهل المعاملة وأرباب القلوب، وقد ندب رسول الله ﷺ إلى ذلك.

ثم يقرأ سورة الفاتحة وأول سورة البقرة إلى «المفلحون»، والآيتين: وإلهكم إله واحد.. وآية الكرسى، والآيتين بعدها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ والآية قبلها.. و ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ و ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ.. — إلى — الْمُحْسِنِينَ﴾[١] و ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر الآية[٢]: و ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ..﴾ الآيتين[٣]، وآخر الكهف من: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ و ﴿ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ – إلى – ﴿خَيْرَ الْوَارِثِينَ﴾[٤] ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٥] و ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ..﴾. إلى آخر السورة)[٦] و ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ..﴾[٧] وأول سورة الحديد إلى.. ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وآخر سورة الحشر من ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا﴾ ثم يسبّح ثلاثا وثلاثين.. وهكذا يحمد مثله، ويكبّر مثله، ويتمها مائة بـ «لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

فإذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظًا، أو من المصحف، أو يشتغل بأنواع الأذكار.. ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور ونعاس؛ فإن النوم فى هذا الوقت مكروه جدًا..

فإن غلبه النوم فليقم فى مصلاّه قائمًا، مستقبل القبلة.

---

(١) من آية ٥٤ إلى آية ٥٦ من سورة الأعراف.

(٢) آية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٣) الآيتان ١١٠، ١١١ من سورة الإسراء.

(٤) من سورة الأنبياء آية ٨٧، ٨٨، ٨٩.

(٥) آية ١٧ من سورة الروم.

(٦) آية ١٨٠، ١٨١ من سورة الصافات.

(٧) آية رقم ٢٧ من سورة الفتح.

فإن لم يذهب النوم بالقيام يخْط خطوات نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك. ولا يستدير القبلة؛ ففى إدامة استقبال القبلة، وترك الكلام والنوم، ودوام الذكر فى هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة.

وجدنا ذلك بحمد الله ونُوصى به الطالبين.

وأثر ذلك فى حق من يجمع فى الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر.

وهذا الوقت أوّل النهار — والنهار مظنة الآفات — فإذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه.

وتبتنى أوقات النهار جميعًا على هذا البناء.

فإذا قارب طلوع الشمس يبتدئ بقراءة المسبعات العشر، وهى من تعليم الخضر عليه السلام، علّمها إبراهيم التيمى وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ.

وينال بالمداومة عليها جميع المتفرّق فى الأذكار والدعوات.

وهى عشرة أشياء، سبعة.. سبعة: الفاتحة، والمعوذتان، وقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وآية الكرسىّ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والصلاة على النبى - ﷺ - وآله.

ويستغفر لنفسه، ولوالديه، وللمؤمنين وللمؤمنات، ويقول سبعًا: اللهم افعل بى وبهم، عاجلاً وآجلاً فى الدين والدنيا والآخرة، ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور، حليم، جواد، كريم، رءوف، رحيم.

وروى أن إبراهيم التيمىّ لمّا قرأ هذه — بعد أن تعلمها من الخضر — رأى فى المنام أنه دخل الجنة، ورأى الملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة.

وقيل: إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم.

وقيل: لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة.

فإذا فرغ من المسبّعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة، إلى أن تطلع الشمس قدر رمح.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال «لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحبُّ إلىّ من أن أعتق أربع رقاب»(*).

(*) رواه الترمذى وأبو داود.

ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه، فقد نُقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلى الركعتين.. وبهاتين الركعتين تتبيّن فائدة رعاية هذا الوقت.

وإذا صلّى الركعتين بجمع همّ، وحضور فهم، وحُسن تدبّر لما يقرأ يجد فى باطنه أثرًا، ونورًا، وروحًا، وأنسًا إذا كان صادقًا.

والذى يجده من البركة ثواب مُعجَّل له على عمله هذا.

وأحبُّ أن يقرأ فى هاتين الركعتين فى الأولى: آية الكرسى، وفى الأخرى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[1] و ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوتِ والأَرْضِ﴾[2] إلى آخر الآية.

وتكون نيته فيهما الشكر لله على نعمه فى يومه وليلته.

ثم يصلى ركعتين أخريين، يقرأ المعوِّذتين فيهما، فى كل ركعة سورة، وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله تعالى من شرِّ يومه وليلته.

ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة، فيقول: أعوذ باسمك وكلمتك التامّة من شرِّ السامة والهامة، وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شرّ عذابك وشرِّ عبادك، وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شرّ ما يجرى به الليل والنهار، إنَّ ربى الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم.

ويقول بعد الركعتين الأوليين: اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبحت مُرتهنًا بعملى، وأصبح أمرى بيد غيرى فلا فقير أفقر منى..

اللهم لا تشمت بى عدوى، ولا تُسىء بى صديقى، ولا تجعل مصيبتنى فى دينى، ولا تجعل الدنيا أكبر همىّ ولا مبلغ علمى، ولا تسلّط علىّ من لا يرحمنى.

اللهم إنّى أعوذ بك من الذنوب التى تزيل النعم، وأعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم.

ثم يصلى ركعتين أخريين، بنيَّة الاستخارة لكل عمل يعمله فى يومه وليلته.

وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الإطلاق.

وإلا فالاستخارة التى وردت بها الأخبار هى التى يصلّيها أمام كل أمر يريده.

---

(١) من سورة البقرة الآية: ٢٨٥.. الخ السورة.

(٢) آية ٣٥ من سورة النور.

ويقرأ فى هاتين الركعتين ﴿قُلْ يأيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحد﴾، ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره فى غير هذا الباب، ويقول فيه: كل قول وعمل أريده فى هذا اليوم اجعل فيه الخيرة.

ثم يصلى ركعتين أخريين، يقرأ فى الأول سورة الواقعة، وفى الأخرى سورة الأعلى، ويقول بعدها: اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، واجعل حبك أحب الأشياء إلىّ، وخشيتك أخوف الأشياء عندى، واقطع عنّى حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عينى بعبادتك، واجعل طاعتك فى كل شىء منى يا أرحم الراحمين.

ثم يصلى بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئًا من حزبه من القرآن.

ثم بعد ذلك، إن كان متفرغًا ليس له شغل فى الدنيا ينتقل فى أنواع العمل، من: الصلاة، والتلاوة، والذكر.. إلى وقت الضحى.

وإن كان ممن له فى الدنيا شغل، إمّا لنفسه أو لعياله، فليمض لحاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل.

وهكذا ينبغى أن يفعل أبدًا، لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين، ليقيه الله سوء المخرج. ولا يدخل البيت إلا ويصلى ركعتين ليقيه الله سوء المدخل، بعد أن يسلّم على من فى المنزل من الزوجة وغيرها. وإن لم يكن فى البيت أحد يسلّم أيضًا، ويقول: السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين.

وإن كان متفرغًا فأحسن أشغاله فى هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة؟ فإن كان عليه قضاء صلّى صلاة يوم أو يومين، أو أكثر، وإلا فليصلّ ركعات يطوّلها ويقرأ فيها القرآن؛ فقد كان من الصالحين من يختم القرآن فى الصلاة بين اليوم والليلة، وإلا فليصلّ أعدادًا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ﴾ وبالآيات التى فى القرآن، وفيها دعاء مثل قوله تعالى ﴿رَبنَا عَلَيْكَ تَوَكّلْنَا وإلَيكَ الْمصير﴾[1] وأمثال هذه الآية.

يقرأ فى كل ركعة آيةً منها، إمّا مرّة، أو يكررها مهما شاء.

ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التى ذكرناها بعد طلوع الشمس، وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة.

---

(١) آية ٤ من سورة الممتحنة.

وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة إلى مائتين.. إلى خمسمائة.. إلى ألف ركعة.

ومن ليس له في الدنيا شغل، وقد ترك الدنيا إلى أهلها فما باله يبطل[1] ولا يتنعم بخدمة الله تعالى؟!

قال سهل بن عبد الله التستري: لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة.

فإذا ارتفعت الشمس، وتنصَّف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما ينتصف العصر بين الظهر والمغرب يُصلّى الضحى، فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى؛ قال رسول الله ﷺ «صلاة الضحى إذا رمضت الفصال»[2] وهو: أن ينام الفصيل في ظلّ أمه عند حرّ الشمس.

وقيل: الضحى: إذا ضحيت الأقدام بحرّ الشمس.

وأقلّ صلاة الضحى ركعتان، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة، ويجعل لنفسه دعاءً بعد كل ركعتين، ويسبح، ويستغفر.

ثم بعد ذلك، إن كان هناك حقٌ يُقضَى مما نُدب إليه، من: زيارة، أو عيادة يمضي فيه.. وإلا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور، إمّا ظاهرًا، وباطنًا، وقلبًا وقالبًا، وإلا فباطنًا.

وترتيب ذلك: أنه يصلّى ما دام منشرحًا ونفسه مجيبة.

فإن سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة؛ فإن مجرد التلاوة أخفّ على النفس من الصلاة.

فإن سئم التلاوة أيضًا يذكر الله بالقلب واللسان، فهو أخفّ من القراءة.

فإن سئم الذكر يَدَع ذكر اللسان، ويلازم بقلبه المراقبة.

والمراقبة عِلْم القلب بنظر الله تعالى إليه، فما دام هذا العلم ملازمًا لقلبه فهو مراقب، والمراقبة عين الذكر وأفضله.

---

(١) يبطل: أى يضعف.

(٢) الفصال: جمع فصيل. والفصيل هو: ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمه.

فإن عجز عن ذلك أيضًا، وتملكته الوساوس، وتزاحم في باطنه حديث النفس فَلْينم: ففي النوم السلامة، وإلا فكثرة حديث النفس تقسّي القلب ككثرة الكلام؟ لأنه كلام من غير لسان، فيحرّز عن ذلك.

قال سهل بن عبد الله: أسوأ المعاصي حديث النفس.

والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره؛ فإنه بحديث النفس، وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع، كشخصٍ آخر في باطنه، فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية، كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر.

ويمكن للطالب المجدّ أن يُصلي من مصلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى، وأقل من ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة، أو يقرأ في كل ركعتين جزءًا من القرآن، أو أقل، أو أكثر.

والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى، وبعد الفراغ من أعدادٍ أخر من الركعات حسن.

قال سفيان: كان يعجبهم إذا فرغوا أن يناموا؛ طلبًا للسلامة.

وهذا النوم فيه فوائد:

منها: أنه يعين على قيام الليل.

ومنها: أن النفس تستريح، ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه، والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار تجد في الباطن نشاطًا آخر، وشغفًا آخر، كما كان في أول النهار. فيكون للصادق في النهار نهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالى، والدءوب في العمل.

وينبغي أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة، حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء، بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة: ذاكرًا، أو مسبِّحًا أو تاليا. قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾[1] وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[2] قيل: قبل طلوع الشمس: صلاة الصبح، وقبل غروبها: صلاة العصر.

---

(١) آية ١١٤ من سورة هود.

(٢)، (٢)، (٣)، (٤) من سورة طه الآية ١٣٠.

﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾[٢] أراد العشاء الأخيرة. ﴿وأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾[٣] أراد: الظهر والمغرب؛ لأن الظهر صلاة فى آخر الطرف الأول من النهار، وآخر الطرف الآخر غروب الشمس، وفيها صلاة المغرب.

فصار الظهر آخر الطرف الأول، والمغرب آخر الطرف الآخر، فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر، كما استقبل الطرف الأول.

وقد عاد بنوم النهار جديدًا كما كان بنوم الليل، ويصلى فى أول الزوال، قبل السنة والفرض، أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله ﷺ، وهذه صلاة الزوال قبل الظهر فى أوّل أوقاتها. ويحتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول الوقت بحيث يفطن للوقت قبل المؤذنين، حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء، فيشرع فى صلاة الزوال. ويسمع الأذان، وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة الظهر.

فإن وجد فى باطنه كدرًا من مخالطة، أو مجالسة اتفقت يستغفر الله ويتضرع إليه. ولا يشرع فى صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائدًا إلى حاله من الصفاء.

والذائقون حلاوة المناجأة لابدّ أن يجدوا صفو الأنس فى الصلاة، ويتكدرون بيسير من الاسترسال فى المباح، ويصير على بواطنهم من ذلك عُقَد وكدّر، وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الأهل والولد، مع كون ذلك عبادة، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلا يدخل الصلاة إلا بعد حل العُقَد وإذهاب الكدر.

وحلّ العقد بصدق الإنابة، والاستغفار، والتفرغ إلى الله تعالى.

ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل والولد: أن يكون فى مجالسته غير راكن إليهم كل الركون، بل يسترق القلب فى ذلك نظرات إلى الله تعالى؛ فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة.

إلاّ أن يكون قوى الحال، لا يحجبه الخلقُ عن الحق. فلا ينعقد على باطنه عقدة، فهو كما يدخل فى الصلاة لا يجدها ويجد باطنه وقلبه، لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة، كان استرواح منغمرًا بروح قلبه؛ لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظرة إلى الخلق، وعين قلبه مطالعة للحضرة الإلهية، فلا ينعقد على باطنه عقدة.

وصلاة الزوال التى ذكرناها تحلّ العقد، وتُهيىء الباطن لصلاة الظهر، فيقرأ فى صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة فى النهار الطويل، وفى القصير ما يتيسر من ذلك.

قال الله تعالى ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[١] وهذا هو الإظهار، فإن انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرد، وقرأ الدعاء الذى بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر فحسن.

وكذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ دعا به إلى صلاة الفجر.

ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة، وآية الكرسى، ويسبح، ويحمد، ويكبر ثلاثًا وثلاثين مرّة – كما وصفنا – ولو قدر على الآيات كلها التى ذكرناها بعد صلاة الصبح، وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرًا كثيرًا وفضلاً عظيمًا.

ومن له همّة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئًا لله تعالى.

ثم يحيى بين الظهر والعصر كما يحيى بين العشاءين، على الترتيب الذى ذكرناه، من الصلاة، والتلاوة، والذكر والمراقبة. ومن دام سهره ينام نومة خفيفة فى النهار الطويل بين الظهر والعصر.

ولو أحيا بين الظهر والعصر بركعتين، يقرأ فيهما ربع القرآن أو يقرأ ذلك فى أربع ركعات فهو خير كثير.

وإن أراد أن يحيى هذا الوقت بمائة ركعة فى النهار الطويل أمكن ذلك. أو بعشرين ركعة يقرأ فيها ﴿قل هو الله أحد﴾ ألف مرة، فى كل ركعة خمسين.

ويستاك قبل الزوال إن كان صائمًا، وإن لم يكن صائمًا فأىّ وقت تغيرّ فيه الفم، وفى الحديث «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب».

وعند القيام إلى الفرائض[٢] يستحب.

قيل: إن الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير السواك سبعين ضعفًا. وقيل هو خير[٣].

وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين فى صلاته فى عشرين ركعة فى كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ:

---

(١) من آية ١٨ من سورة الروم.

(٢) وفى نسخة من الفرائض.

(٣) وفى نسخة هو خير.

فى الركعة الأولى ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار﴾ [آية ٢٠١ من سورة البقرة].

ثم فى الثانية ﴿رَبَّنَا أفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقومِ الْكَافِرِينَ﴾ [آية ٢٥٠ من سورة البقرة].

ثم ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا . . . ﴾ إلى آخر السورة [آية ٢٨٦ من سورة البقرة].

ثم ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا . . . ﴾ الآية [آية ٨ من سورة آل عمران].

ثم ﴿رَبَّنَا إنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى للإيمان...﴾ الآية [آية ١٩٣من سورة آل عمران].

ثم ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أنْزَلْتَ . . . ﴾ [آية ٥٣ من سورة آل عمران].

ثم ﴿أنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا . . . ﴾ [آية ١٥٥ من سورة الأعراف].

ثم ﴿ فاطر السموات والأرض أنْتَ وَلِى . . . ﴾ [آية ١٠١ من سورة يوسف].

ثم ﴿رَبَّنَا إنَّكَ تعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ . . . ﴾ الآية [آية ٣٨ من سورة إبراهيم].

ثم ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [آية ١١٤ من سورة طه].

ثم ﴿ لاَ إلهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَك . . . ﴾ [آية ٨٧ من سورة الأنبياء].

ثم ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْنِى فَرْدًا . . . ﴾ [آية ٨٩ من سورة الأنبياء].

ثم ﴿ وَقُلْ رَّب اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمين...﴾ [آية ١١٨ من سورة المؤمنون].

ثم ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أزْوَاجِنَا . . . ﴾ [آية ٧٤ من سورة الفرقان].

ثم ﴿ رَبِّ أوْزِعْنِى أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأنْ أعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهْ وَأدْخِلْنِى برَحْمتكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . . ﴾ [آية ١٩ من سورة النمل].

ثم ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ ﴾ [آية ١٩ من سورة غافر].

ثم ﴿ رَبِّ أوْزِعْنِى أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أنْعَمْتَ عَلَىَّ...﴾[آية١٥من سورة الأحقاف].

ثم ﴿ رَبَّنَا اغْفِر لَنَا ولإخْوانِنا الَّذينَ سَبَقُونَا بالإيمان ﴾ [آية ١٠ من سورة الحشر].

ثم ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا . . . ﴾ [آية ٤ من سورة الممتحنة].

ثم ﴿ رَبِّ اغْفِر لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمؤمِنِينَ والْمؤْمِنَاتَ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبَارًا ﴾ [آية ٢٨ من سورة نوح].

مهما يصل فليقرأ بهذه الآيات..

وبالمحافظة على هذه الآيات فى الصلاة – مواظبًا للقلب واللسان – يوشك أن يرقى إلى مقام الإحسان.

ولو ردد فرد آية من هذه فى ركعتين من الظهر أو العصر كان فى جميع الوقت مناجيًا لمولاه، وداعيًا وتاليًا، ومصليا.

والدءوب فى العمل، واستيعاب أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقصاء فى الزهد فى الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى.

ومتى بقى على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا يدوم روحه فى العمل، بل ينشط وقتًا.. ويسأم وقتا.. ويتناوب النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شىء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا.. وإذا صحّ فى الزهد والتقوى فإن ترك العمل بالجوارح لا يفتر عن العمل بالقلب..

فمن رام دوام الروح واستحلاء الدءوب فى العمل فعليه بحسم مادة الهوى.

والهوى روح النفس لا يزول، ولكن تزول متابعته، والنبى ﷺ ما استعاذ من وجود الهوى. ولكن استعاذ من متابعته، فقال: «أعوذ بك من هوى متبع» ولم يستعذ من وجود الشحّ؛ فإنه طبيعة النفس، ولكن استعاذ من طاعة فقال: «وشحّ مطاع».

ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب، وعلوّ الحال، فقد يكون متّبعًا للهوى باستحلاء مجالسة الخلق، ومكالمتهم، أو النظر إليهم.

وقد يتّبع الهوى بتجاوز الاعتدال فى النوم، والأكل، وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع. وهذا شغل من ليس له شغل إلا فى الدنيا.

ثم يصلى العبد، قبل العصر، أربع ركعات، فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم، ولو اغتسل كان أفضل.

وكل ذلك له أثر ظاهر فى تنوير الباطن، وتكميل الصلاة.

ويقرأ فى الأربع قبل العصر: إذا زلزلت، والعاديات، والقارعة، وألهاكم.

ويصلى العصر، ويجعل من قراءته فى بعض الأيام: والسماء ذات البروج.

وسمعت أن قراءة سورة البروج فى صلاة العصر أمان من الدمامل.

ويقرأ بعد العصر، ما ذكرنا من الآيات، والدعاء، وما تيسر له من ذلك.

فإذا صلّى العصر ذهب وقت التنفّل بالصلاة، وبقي وقت الأذكار والتلاوة.

وأفضل من ذلك: مجالسة مَن يُزهّده في الدنيا ويسدد كلامه عُرى التقوى من العلماء الزاهدين المتكلمين بما يقوي عزائم المؤيدين.

فإذا صحت نيّة القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الأذكار.

وإن عدمت هذه المجالسة وتعذّرت فليتروّح بالتنفّل في أنواع الأذكار.

وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه في أول النهار.

ولا يخرج من المنزل إلا وهو على وضوء.

وكره جمع من العلماء تحية الطهارة بعد صلاة العصر. وأجازه المشايخ والصالحون.

ويقول كلما خرج من منزله: باسم الله ما شاء الله، حسبي الله، لا قوة إلا بالله، اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني، وليقرأ الفاتحة، والمعوذّتين.

ولا يدع أن يتصدّق كل يوم بما تيسر له، تمرة، أو لقمة؟ فإن القليل بحسن النيّة كثير.

وروى أن عائشة رضي الله عنها أعطت السائل عنبة واحدة، وقالت: إن فيها لمثاقيل ذرّ كثير.

وجاء في الخبر «كل أمرىء يوم القيامة تحت ظل صدقته».

ويكون من ذكره من العصر إلى المغرب مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير. فقد ورد عن رسول الله ﷺ «أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[1].

ومائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فقد ورد أن «من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله».

---

(١) رواه ابن حبان.

ويقول مائة مرة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ومائة مرّة: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وبحمده، أستغفر الله.

ومائة مرّة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

ومائة مرّة : اللهم صلى على محمد.

ومائة مرّة : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، وأسأله التوبة.

ومائة مرّة : ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

ورأيت بعض الفقراء من المغرب بمكة وله سبحة فيها ألف حبة فى كيس له، ذكر: أن ورده أن يديرها كل يوم اثنتى عشرة مرة بأنواع الذكر.

ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم والليلة.

ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم والليلة.

وليقل مائة مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح:

سبحان الله شديد الأركان . . .

سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار . . .

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن . . .

سبحان الله الحنان المنّان . . سبحان الله المسبَّح فى كل مكان .

روى أن بعض الأبدال بات على شاطىء البحر، فسمع فى هدوء الليل هذا التسبيح، فقال: من الذى أسمع صوته ولا أرى شخصه؟. فقال: أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر» أسبّح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خُلقت. فقال: ما اسمك؟ فقال: مهليهيائيل. فقال: ما ثواب هذا التسبيح؟ قال: من قال مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له.

وروى أن عثمان رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [1] فقال: «سألتنى عن شىء عظيم ما سألنى عنه غيرك، هو: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله عزّ وجل،

(١) آية ٦٣ من سورة الزمر.

وأستغفر الله الأول والآخر الظاهر الباطن، وله الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير».

من قالها عشرًا حين يصبح وحين يمسى أعطى ست خصال:

فأول خصلة: أن يُحرس من إبليس وجنوده.

الثانية: أن يُعطَى قنطارًا من الأجر.

الثالثة: يرفع له درجة فى الجنة.

الرابعة: يزوّجه الله من الحور العين.

الخامسة: أثنا عشر ملكا يستغفرون له.

السادسة: يكون له من الأجر كمن حج وأعتمر.

ويقول أيضًا فى هذا الوقت وفى أول النهار: اللهمَّ أنت خلقتنى، وأنت هديتنى، وأنت تطعمنى وأنت تسقينى وأنت تميتنى وأنت تحيينى، وأنت ربّى، لا ربَّ سواك، ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك.

ويقول: ماشاء الله ولا قوة إلاّ بالله. ما شاء الله كل نعمة من الله.. ماشاء الله.. الخير كلّه بيد الله ماشاء الله.. لا يصرف السوء إلا الله.

ويقول: حسبى الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة، ويقرأ المسبعات قبل الغروب، ويديم التسبيح والاستغفار ويقرأ عند الغروب أيضًا: والشمس، والليل، والمعوذتين.

ويستقبل الليل كما استقبل النار. قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1] فكما أن الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل: ينبغى أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر، ولايتخللهما شىء، كما لا يتخلل بين الليل والنهار شىء.

والذكر جميعه أعمال القلب، والشكر أعمال الجوارح. قال الله تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾[2] والله الموفق المعين.

---

(١) آية ٦٢ من سورة الفرقان.

(٢) آية ١٣ من سورة سبأ.